

البناء الدرامي في مديح الإمام علي بن أبي طالب

(عليه السلام) في العصر الأموي

المدرس عتاب بسيم مشكل السوداني

جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

Attabb.alsudani@uokofo.iq

**Read-only You cannot save changes to this file.Dramatic
Construction in praise of Imam Ali Abi Talib (peace be upon them) in the
Umayyad era**

**Lec Ettab-Biseem ALswdine
University of Kufa - College of Basic Education**

Abstract:

Dramatic art is one of the oldest arts known to man as the phenomenon of drama as a poetic practice is not new in the Arabic poem . it bore some of the features of this phenomenon and drame is a conflict contradiction movement and tension as it is a true expression of the contradictions of life .The hidden appears from the situations and the objectification of events as well as the tension and emotion that accompanies the poem masks with the tension caused by the dramatic structure as well as the poetic language that .The reveal and make the conflict open in multiple directions

Key words: Drama – praise – poetry-Imam Ali-Al Sayed Al Hamiri- Al Abdi Al kufi – characters- dialogue.

الملخص :

يعد الفن الدرامي من أقدم الفنون التي عرفها الإنسان ، إذ أن ظاهرة الدراما بوصفها ممارسة شعرية ليست جديدة في التراث الشعري في القصيدة العربية قد حملت بعض ملامح هذه الظاهرة والدراما هي صراع ، وتناقض ، وحركة ، وتوتر ، فهي تعبير صادق عن تناقضات الحياة ، حيث تظهر المخفي من المواقف وتجسم الأحداث فضلاً عن أن التوتر والإنفعال الذي يلزم القصيدة يتوازي مع التوتر الذي يحدثه البناء الدرامي ، كذلك اللغة الشعرية التي تكشف الأحداث وتجعل الصراع مفتوحاً على اتجاهات متعددة .

الكلمات المفتاحية : الدراما ، المديح ، الشعر ، الإمام علي (عليه السلام) ، السيد الحميري ، العبد الكوفي ، الشخصيات ، الحوار

البناء الدرامي :

إن من أبرز مكونات البنية الدرامية هي (الحوار ، الصراع ، اللغة ، المشهد) ولكن ذلك لا يعني أن وجود هذه العناصر أو بعضها في القصيدة أو الرواية هو بناء درامي وإنما المعنى هو قدرة هذه العناصر على خلق الصراع المضطرب والحدث المتنامي الذي يذيب الذات في الموضوع ، ويرصد التناقضات عبر الثابت والمتحول ، والصوت الظاهر والخفي ليكشف أبعاد الموقف ويفضي إلى المقصدية التي يبتغيها الشاعر وينتظرها المتلقي ، وقد لجأ الشعراء المعاصرون إلى عناصر الدراما فوظفوها في شعرهم بشكل مكثف ، ومن تلك العناصر الصراع والحوار والأسطورة ، وتعد الأسطورة مجالاً رحباً للدراما ، إذ تسعى للربط بين الواقع المرئي وغير المرئي ، أما التفكير الدرامي فإنه ذلك التفكير الذي لا يسير في اتجاه واحد ، وكل الأنواع الأدبية تسعى إلى بلوغ المستوى الدرامي فهو أعلى صورة من صور التعبير الأدبي^(١) ، ومن خصائص الدراما المونولوج والديالوج ، والأفكار المتقابلة ، فكل فكرة تقابل فكرة أخرى ، كل ظاهر ورائه باطن ، وكذلك الصراع مع الذات ومع الواقع ، فتبدو المواقف في الظاهر متناقضة أو متضادة . إن تشخيص البناء الدرامي الشعري يعد من الأهمية بمكان وذلك للوقوف على أهم مكونات البنية الدرامية في تجربة شعراء أهل البيت (عليهم السلام) ، نظراً لما تمثله الدراما من حضور لافت لمستويات هذه التجربة بسبب امتلاكها مقومات الحركة والتفاعل مع القارئ، إذ إن رصد تلك المكونات في نصوص هؤلاء الشعراء يساهم في التعرف على تجربة شعرية غنية في حركة الشعر القديم من جهة ، ويساهم في كشف خصوصية هذه التجربة بالدخول إليها ورصد أبرز مكونات البنية الدرامية فيها بغية الكشف عن رؤيا نقدية حديثة متمثلة بجمالية التلقي من جهة أخرى لأن ((الرؤيا الدرامية تعني القدرة على إدراك التناقضات والقدرة في الوقت نفسه على إيصال الإحساس إلى القارئ من خلال حركتها))^(٢) . وقد يعد الحدث العجائبي مجالاً للدراما ، حيث يسعى إلى الربط بين الواقع المرئي وغير المرئي ، ذلك أن شعراء أهل البيت (عليهم السلام) أقاموا نصوصهم الشعرية على أساس بناء هيكلية الأحداث وسردها بشكل واضح ودقيق ، ولاسيما العجائبية منها التي حرصوا فيها على تأكيد واقعية تلك الأحداث بالأدلة القطعية ، وربما كان ذكر العجائب في كثير من المواضع كنوع من أنواع

الحجاج مع الخصوم والمعادين للمذهب ومن ذلك قصيدة للسيد الحميري ، قالها في مدح الإمام علي (عليه السلام) راوياً ومحدثاً ومخبراً ومؤرخاً :

ومن ذا له قال النبي محمد	غداة تبوك حين قالوا وشنعوا
فغم أمير المؤمنين مقالهم	وكادت أماقيه من الحزن تدمع
فقام رسول الله فيهم مبلغاً	لهم فضله لو كان ذلك ينجع
فقال : علي فاعلموا من نبيكم	كهارون من موسى فكفوا وأقلعوا
ومن ذا لهم في يوم خم أقامه	وقال لهم فيه مقالاً فأجمعوا
فقال : فمن قد كنت مولاه منكم	فهذا له مولى يطاع ويسمع
ومن حملته الريح فوق سحابة	بقدره رب قدر من شاء يرفع
ومر بأصحاب الرقيم مسلماً	فردوا من الكهف السلام فاسمعوا
ومن فجر الصخر الأصم لجنده	ففاض معيناً منه للقوم ينبع
ومن لصلاة العصر عند غروبها	ترد له والشمس ييضاً تلمع
فصلّى صلاة العصر ثم اثنت له	تسير كسير البرق والبرق مسرع
فيا لاثمي في حبهم كف إنني	بجب أمير المؤمنين لمولع ^(٣)

لا شك في أن الشاعر قد بنى قصيدته المدحية في وصف الممدوح وتشيد البناء السردى بالوصف مرة وبالحوار أخرى ، ومهما يكن فإن الشاعر استطاع أن يصور مشاهد درامية عجائية — إذا ما أردنا تقريبها من مفاهيمنا المعاصرة — لتلك الشخصية الخارقة للمألوف ، فالريح تحملها فوق السحاب ، وردت الشمس لها ، وهي تسلم على أصحاب الرقيم فيردوا من الكهف السلام ، ثم فجرت الصخر ماءً ، وفي الوقت ذاته يمزجها بمشاهد واقعية عن معركة خبير ، ولعل رغبة الشاعر الشيعي في بيان كرامات أهل بيت رسول الله (ﷺ) كان دافعاً مهماً في عرض الأحداث غير المألوفة والكشف عنها ، لذا حرص السيد الحميري على إيراد الأحداث التاريخية المهمة في أبياته على هيئة وصورة أدبية مع بيان إلتزام الإنسجام وتأكيد بين تاريخية الحدث وطريقة العرض

البناء الدرامي في مديح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في العصر الأموي (453)

لستقيم لها ذائقة المتلقي ، فجمالية الحدث العجائبي لا يمكن أن تستقيم لها فنية أو شكل أو مضمون إلا إذا كانت متناسقة من حيث التشكيل الأدبي والمعنى الروحي الحقيقي وفق بنية دلالية^(٤) ، ونجد محاولة الشاعر في نقل الصورة الحديثة وإيرادها عبر المشهد السردى الحوارى فكان ذلك أكثر إيضاحاً وإفهاماً للقارئ ، فالتشكيلة الحوارية لم تكن قادرة على تغييب الحدث أو ضياع فكرته وإنما كان الحوار أكثر هيمنة وموضوعية وإرتباطاً وإشارة إلى حقيقة الحدث ، وأساسيات الرواية في أصل الواقع^(٥) ، وفي حدث درامى آخر اسقط السيد الحميرى الجانب الموضوعى في رؤية ذاتية لحقيقة الواقع الحدثى كما ورد في قوله^(٦) :-

من قال للماء أفجري فتفجرت ما كلفت كفأ له محفارا

حتى تروى جنده في مائها لما جرى فوق الخضيض وفارا

وبكربلا آثار أخرى فبلها أحيا بها الأنعام والأشجارا

وأناه راهباً وأسلم طائعاً معه وأثنى الفارس المغوارا

إذ يطالعنا الشاعر من خلال الأبيات لحدثين تاريخيين مهمين لروايتين ، قد لا تختلف أحدهما عن الأخرى ، الأولى تتمثل في حدث قلع الصخرة وتفجر الماء للجيش^(٧) ، وقبلها في كربلاء آثار صخرة أخرى فأحى بماءها الأنعام والأشجار^(٨) ، إن سرد مثل هكذا أحداث لم يأت متسلسلاً لزرع الإثارة في نفس المتلقي وإنما جاء مباشراً وموجهاً ، وأن تبعته تفاصيل متسلسلة ومنظمة بعد ذلك ، أما مكان الحدث الدرامى فله قرائنه ، وما يجمعه بالحدث الواقعي ، وربما كان الشاعر موفقاً في نسج الترابط بينهما ، فكلما جاء المكان ملموساً وواقعياً كان دليلاً للحدث الدرامى وأكثر إثباتاً له ف ((ذكر الأمكنة وتسميتها بأسمائها أو ما يسمى (بالسمة الموضوعة) التي تحقق بأشتغالها في المحكى دليلاً للتعرف يسمح بتوجيه فكر القارئ على نحو يفهم معه ما في النص على أنه مقتطع من الواقع ، فهذه السمة تضيف على النص طابع الصدق وتجعله نموذجاً من الواقع))^(٩) ولم يتعد العبدى الكوفى في مدحه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن مشهد درامى يشكل البنية الأساسية التي تتفاعل داخلها العناصر الدرامية في النص الشعري من صراع ، وحوار ، وشخصيات ، إذ يقول^(١٠) :-

بلغ سلامي قبراً بالغري حوى
أوفى البرية من عجم ومن عرب
واجعل شعارك الله الخشوع به
وناد خير وصي صنو خير نبي
اسمع أبا حسن إن الأولى عدلوا
عن حكمك انقلبوا عن شر منقلب
ما بالهم نكبوا نهج النجاة ؟ ! وقد
وضحته واقتفوا نهجا من العطب
إلى أن يقول:

وكان أول من أوصى ببيعته
لك النبي ولكن حال من كذب
حتى إذا ثالث منهم تقمصها
وقد تبدل منها الجدد باللعب
عادت كما بدأت شوهاً جاهلة
تجر فيها ذئاب اكلة الغلب
وكان عتها لهم في "خم" مزدجر
لما رقى أحمد الهادي على قتب
وقال والناس من دان إليه ومن
ثاو لديه ومن مصغ ومرتقب
قم يا علي فإني قد أمرت بأن
أبلغ الناس والتبليغ أجدر بي
إنني نصبت علياً هادياً علماً
بعدي وإن علياً خير منتصب
فبايعوك وكل باسط يده
إليك من فوق قلب عنك منقلب
عافوك لا مانع طولا ولا حصر
قولا ولا لهج بالغش والريب
وكنتم قطب رحي الإسلام دونهم
ولا تدور رحي إلا على قطب
ولا تماثلهم في الفضل مرتبة
ولا تشابههم في البيت والنسب

إن المشهد الدرامي الذي تم رصده هنا ، هو مشهد واقعي ، إذ أعلنها العبد صراحةً ، كيف أن القوم استأثروا بالسلطة ونكثوا البيعة التي أخذها منهم رسول الله (ﷺ) في يوم الغدير ، وقد استحضر بعضاً من خطبة رسول الله (ﷺ) في ذلك اليوم ، وكيف أنه أمر أصحابه بالبيعة للإمام ، ولكنهم بايعوه باليد وفي القلب كانت راكزة نية الغدر ، ولعل في تقنية السرد التي نسجها الشاعر ما يرسم لوحة متكاملة للكشف عن ذلك الصراع داخل الحركة الدرامية ، إذ ((إن شكل الدراما يقوم على

البناء الدرامي في مديح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في العصر الأموي (455)

أساس الصلوات الإنسانية ، وموضوعها تبنيه الصراعات التي تحركها هذه الصلوات))^(١١) ، ويقول العبدى أيضاً في فقه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، بعد أن استعان به عمر بن الخطاب في مسألة فقهية عجز عنها ، ليعين مقام الإمام علي (عليه السلام) الرفيع ، وعلو شأنه ، وغزارة علمه ، وذلك في مشهد درامي آخر: -

إننا روينا في الحديث خبراً يعرفه سائر من كان روى
إن ابن خطاب أتاه رجل فقال: كم عدة تطليق الإما ؟
فقال : يا حيدر كم تطليقة للأمة أذكره فأومى المرتضى
بإصبعيه فثنى الوجه إلى سائله قال : اثنتان واثنى
قال له : تعرف هذا ؟ قال : لا قال له : هذا علي ذو العلا^(١٢)

فلاحظ أن الشاعر قد اعتمد الحوار وسيلة أساسية تم من خلالها عرض الأحداث الدرامية ، وأما الحوار ووفق لهذا النص لا يقف عند حدود العلاقة بين شخص وآخر ، من خلال موقف متباين ، وإنما تبني الشاعر من خلاله أبعاد الموقف بما يحمل من رؤى ومشاعر وتصورات ترتبط بطبيعة الحدث ومسارته، بما يوتر الحدث ثم يزيل توتره في رؤية درامية متحركة تثير القارئ وتخذه على الإلتفات والمتابعة لسرد الأحداث وهذا ما نجده جلياً في أبيات أخرى للشاعر ، التي ضمنها تعدد الأصوات والحوارات في مشهد درامي آخر ، إذ يقول^(١٣) :-

وقد روى عكرمة في خبر ما شك فيه أحد ولا امترى
مر ابن عباس على قوم وقد سبوا عليا فاستراع وبكى
وقال مغتاضا لهم أيكم سب إله الخلق جل وعلا
قالوا معاذ الله قال أيكم سب رسول الله ظلما واجترى
قالوا معاذ الله قال أيكم سب عليا خير من وطى الحصى
قالوا نعم قد كان ذا فقال قد سمعت والله النبي المجتبى
يقول من سب عليا سبني وسبني سب الإله واكتفى

البناء الدرامي في مديح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في العصر الأموي..... (456)

ففي الأبيات تعمد الشاعر تنوع الشخصيات ، وتوزيع أصواتها في مشاهد درامية تكشف عن صراعات متداخلة ، ولابد أن نشير هنا إلى أن بناء المشاهد الدرامية في الأبيات بتنوع شخصياتها وحواراتها ، تشارك في إغناء البنية الدرامية ، من خلال تعدد أصواتها ، التي تضيء المشهد الدرامي ، وتساعد في تحفيز الفعل لتحريك الواقع بأبعاده المختلفة مما تثير القارئ وتستميله تجاه حركتها ، لأن ((تعدد الأصوات سمة يركز عليها الأسلوب الدرامي بما فيه من تغير اللغة واللهجة وتعدد الشخصيات ، وما يلعبه كل ذلك من تنمية الدرامية وتصعيد الحدث والحركة فيها))^(١٤)

الخاتمة :

في نهاية بحثي المتواضع هذا توصلت الى النتائج الآتية :

١. أن ما يميز الحدث الدرامي في شعر مديح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن باقي الأحداث كونه قد ارتبط بشخصية واقعية مقدسة.
٢. ورد سرد الحدث الدرامي بلغة سهلة مما يجعل المتلقي يلج مباشرة الى فضاء الحدث دون مقدمات .
٣. وفق مادحو الإمام علي (عليه السلام) في استعمال أساليب متعددة في الصيغ والصور حتى أصبحت اللغة شريكاً أساسياً في النسق الدرامي.
٤. وظف الشعراء الأفعال بأشكال وصيغ متحركة مما يجعلها مفهومة ومدركة من قبل المتلقي بأكبر قدر من المعلومات وباقل كمية من المساحات النصية.

هوامش البحث

١. ينظر الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية : عز الدين اسماعيل ، ٢٧٨
٢. درامية النص الشعري الحديث دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح : علي قاسم الزبيدي، ١٧
٣. ديوان السيد الحميري، ١٣٣
٤. ينظر التشكيل العجائبي والغرائبي في النص السردي (دراسة لرواية امرأة حلم ازرق لعبد الحميد الغرباوي) : سليم بركان (بحث نشر) ، ١٧١ ، القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية) : تود روف وآخرون ، ١٥٠

- ٥ . ينظر مسند الإمام علي (ع) : حسن القباجي ، ٣٦٦/٧-٣٦٧
- ٦ . ديوان السيد الحميري ، ١٠٥
- ٧ . ينظر بحار الأنوار : المجلسي ، ٢٦ / ٣٣
- ٨ . ينظر مناقب آل أبي طالب : المازندراني ، ٣٧١-٣٧٢
- ٩ . الفضاء الروائي : كريفل وآخرون ، ٧٤
- ١٠ . أدب الطف : جواد شبر ، ١٧١
- ١١ . نظرية الدراما الحديثة : بيتر زوندي ، ١١٤
- ١٢ . كنز العمال : المتقي الهندي ، ١ / ٦٠٠
- ١٣ . كنز العمال : المتقي الهندي ، ٣ / ١٦٣
- ١٤ . درامية النص الشعري الحديث : علي قاسم الزبيدي ، ٩٩

قائمة المصادر والمراجع

- أدب الطف ، جواد شبر ، دار المرتضى للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨.
- درامية النص الشعري الحديث / دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح ، علي قاسم الزبيدي ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ب.ت
- ديوان السيد الحميري ، شرحه وضبطه وقدم له : ضياء حسين الأعلمي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩
- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، إسماعيل ، عز الدين ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢
- الفضاء الروائي ، شارل كريفل وآخرون ، ترجمة : عبد الرحيم حزل ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٢.
- القصة الرواية المؤلف (دراسات في نظرية الأنواع الأدبية المعاصرة) ، تود روف وآخرون ، ترجمة وتقديم: خيرى دومة ، مراجعة سيد البحراوي ، دار الشرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧.
- كنز العمال ، المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩

البناء الدرامي في مديح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في العصر الأموي (458)

- مسند الإمام علي (عليه السلام) ، حسن القبائجي ، تحقيق الشيخ : طاهر السلامي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠
- مناقب آل أبي طالب ، أبي جعفر محمد ابن شهر آشوب المازندراني ، تحقيق وفهرسة : يوسف البقاعي ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩١ .